حسان الجودي

حصاد الماء

(1983 – 1994)

– شعر –

قـــباب

(1)

فـــي قـــبّة الـــروّحِ يـــبكي حـــزنَهُ قَمَـــرُ
يـــا دمعـــةً مـــن وشـــاح الضّـــوء تُعتصـــرُ

مـــا كـــنتُ أرغـــبُ أن أقـــتاتَ ذاكـــرتي
وشـــارعُ القـــلب لـــم يكـــبَرْ بـــه الشّـــجرُ

مـــا كـــان لـــي أن أُريـــقَ الشـــعرَ منكســـراً
لـــولا صـــهيلٌ عـــلى الأبـــوابِ منكســـرُ

لـــولا بقايـــا مـــن الأشـــياء ذابـــلةٌ
فـــي عـــروة الجســـدِ المهـــزومِ تنضـــفرُ

لـــولا اليقيـــنُ بـــأنَّ الحـــزنَ ســـيّدُنا
مـــن راحـــتيه بـــذورُ الخَـــلق تنتشـــرُ

لهاثُـــه جـــرسٌ فـــي ســـاحلٍ قفِـــرٍ
مـــن ضـــفّةِ الله حـــتّى المـــاء يـــنهمرُ

مســـتوحشٌ غيمـــةٌ ترســـو بجثَّـــته
عـــلى مســـاحاتها الألـــوانُ تنتـــثرُ...

(2)

فـــي قـــبّة العشـــق يـــرفو ذاتَـــهُ وجْـــدُ
والـــنّور مـــن كـــوّة الأيّـــامِ يمـــتدُّ

خيطانُـــه ألـــمٌ لُـــفَّ الحـــنينُ بـــه
فصـــار كوكـــبةً يـــلهو بهـــا وعـــدُ

كأنّمـــا عـــاد لـــي نجـــمُ الهـــوى كسَـــراً
يقودهـــا الشَـــجَنُ المخـــزون إذ يـــبدو

كأنّمـــا صـــرتُ فـــي إقـــليمها زبـــداً
يعـــود بـــي جَـــزْرها إن فـــاض بـــي مـــدُّ

فـــلا أرى بعدهـــا بحـــراً أؤسّســـهُ
ولا أرى قبـــلها رمـــلاً لـــه أحـــدو

هـــذا أنـــا قـــبّةٌ للعشـــق دائـــرةٌ
حـــول المواعيـــدِ لـــم يهـــدأ لهـــا بُعْـــدُ

فهـــل أغامـــرُ بالـــتّطواف فـــي جســـدي
وأنـــتِ عاصـــفةٌ فـــي داخـــلي تشـــدو؟

وهـــل أحـــاولُ نســـياناً وذاكـــرتي
نهـــرٌ مـــن الزّئـــبقِ الـــنّاريّ مُـــرْبَدُّ؟

(3)

فـــي قـــبّة القهـــرِ تمـــثالٌ وجـــثمانُ
وهالـــةٌ بالـــنّدى المكـــبوت تـــزدانُ

فهـــل رأى الطّيـــنُ فـــي الجـــثمان مـــنقذَهُ
وقـــد تـــدلّى عـــلى الأرواحِ ثعـــبان؟

هـــذي المَجامـــرُ فـــي صـــدري تفاوضـــني
وصـــوتها فـــي فضـــاء الثّـــلج نيـــرانُ

دع عـــنكَ فلســـفةَ الأشـــياء معـــترفاً
بـــأنّ حارســـك الذّهـــنيَّ ســـجّانُ

وأنَّ هالـــتكَ الـــزّرقاءَ مطفـــأةٌ
وأنَّ عزلـــتكَ البيضـــاءَ أكفـــان

يـــا هالـــةَ الحُـــلْمِ لا عُـــلِقتِ فـــي شـــجرٍ
ولا أتـــتْ لـــكِ بالـــنّيران ركـــبانُ

يكفيـــكِ أنَّ الشـــذى الـــرّوحيَّ مـــرتعشٌ
وفـــي ارتعاشـــتهِ يـــنداح إنســـانُ...

1985/10/22

الليلـــة الصّاخبـــة

تكسّـــرتِ المـــرايا مـــن ضـــجيجٍ
وأبـــرق فـــي شـــظاياها الحـــنينُ

وغـــادرت القـــلوبُ ســـلالَ نـــومٍ
وطـــافت فـــي الـــدّروب بهـــا العيـــونُ

وأشـــعلت الـــنّجومُ غـــلالَ حـــزنٍ
بـــنيرانٍ لهـــا بدمـــي كمـــون

فمـــا عـــاد المـــدى وجـــه انـــتظار
يغطيّـــه التّـــثاؤب والسّـــكونُ

تدافَـــقَ مـــن عيـــون الغيـــم صـــحوٌ
ووجـــهُ الأرض أمطـــارٌ وطيـــنُ

وحـــــرّكَ رقعـــــةَ الأيّـــــامِ ســـــيفٌ
إلهـــيٌّ لـــــه -كـــالموتِ- حيـــنُ

وولـــــت مهـــــرة الأشـــــياء بـــــرقاً
يجـــــرُّ ذيـــــولَ خيبـــــتها الســـــكونُ

وغطّـــــاني المســـــاءُ بـــــثوب جمـــــرٍ
وغـــــطّى فســـــحةَ القـــــلب الأنيـــــنُ

فـــلي صـــوت القـــرى يهمـــي جفافـــاً
ولـــــي الألـــــم الـــــرّماديُّ الدّفيـــــنُ

ولـــــي صـــــوت الطّواحيـــــن الأقاصـــــي
لهـــا -كالـــنّحلِ- مـــن جـــوعٍ طـــنينُ

ولـــــي وحـــــدي بـــــلادٌ نائيـــــاتٌ
يطـــــوف بهـــــا الفـــــراغ المســـــتكينُ

تُقاســـــمُها العـــــناكبُ كـــــلَّ شـــــيءٍ
وتـــــأكل مـــــن مآقيهـــــا المـــــنونُ

ولـــــي وحـــــدي ليـــــالٍ بـــــارداتٌ
تســـــيجُها الكآبـــــةٌ والظّـــــنونُ

فمـــــن آفاقِهـــــا ولـــــدت حكايـــــا
وبيـــــن صـــــراخها مـــــات اليقيـــــنُ.

1984/3/5

■■

النّوم في سرير العشب

امـــتدادُ الـــتّرابِ الطَّـــريْ يـــدي
وفـــــؤادي بنفســـــجةٌ هائمـــــهْ
الشّـــجيراتُ حولـــي ســـوارٌ لـــه
شـــهوةُ الـــنوم فـــي يقظـــة معـــتمه
الغيـــوم تمـــرُّ عـــلى جســـدي
والسّـــماءُ عـــلى جبهـــتي نائمـــه
وطيـــورُ السّـــكون عـــلى راحـــتي
تفـــتح القـــلبَ بالـــلّغةِ الحالمـــه
متعـــباً نمـــتُ فـــي قاعـــة العشـــب كـــي
أحـــتمي مـــن عصـــور الـــرَّدى الآثمـــه
قـــلقاً نمـــتُ فـــي قامـــة الأرض كـــي
أســـتطيع دخـــول الـــ -أنـــا- العالمَـــهْ

فتطـــــــلّعتُ للأفـــــــقِ المـــــــرتمي
مـــــن وراء غـــــدِ الـــــلحظة القادمـــــهْ
بيـــــنما كـــــانت الأرض تـــــبكي دمـــــاً
كـــــانت الـــــريحُ عكّـــــازةً هـــــرِمَهْ
والفـــــراغُ الـــــرّماديُّ يهمـــــي شـــــذى
تـــــتدلى عـــــناقيدُه واجمَـــــــهْ
فرحـــــلت إلى الحـــــلم محـــــترقاً
لأعيـــــشَ طقـــــوس الغـــــد الباســـــمَهْ
وتمسّـــــكتُ بالعشـــــب ملتجـــــئاً
لحقيقـــــتِه العذبـــــة الدّائمَـــــــهْ...

1985/8/7

ضوء لقمر الحجارة

نـــامي عـــلى شـــفتي فـــي هـــدأة القُـــبَلِ
ولا تضـــيئي بوجهـــي بـــارقَ الغـــزل
نـــامي، فمـــا حجـــرٌ أبقيـــتِه حَجَـــرا
حيـــن اشـــتعلتِ، ولا أبقيـــتِ لـــي ثمـــرا
كـــانت أصـــابعُهُ جـــدرانَ معتقـــلي...

فـــي الـــرّوح زيـــتونةٌ تشـــتاقُ لـــلمطر
عـــلى يديـــكِ رأيـــت الغيـــم فـــي سَـــفَري
ومـــن تجـــليكِ فـــوق الســـهل والجـــبلِ
أيقـــنتُ أنّ دمـــي مـــن جوهـــرِ الأزَل...

تســـاءلَ الـــزّمنُ المحصـــورُ فـــي لغـــتي
تســـاءلتْ إبـــرُ الصَّـــبارِ فـــي شـــفتي

عمَّـــا تســـاقطَ مـــن جـــدران أســـئلتي
فلفَّـــني قمـــرُ الأحجـــارِ بـــالأملِ...

إذا أضـــاء نـــثارُ المســـكِ فـــي جســـدٍ
فكيـــفَ تشْـــعلُ روحـــي ظـــلمةُ الهـــدبِ؟
وإن أفـــاء عـــليَّ الـــوردُ مـــن عـــنقٍ
فكيـــف أنســـجُ مـــن أحلامهـــا تعـــبي؟
وكيـــف تـــنفرطُ الأزهـــارُ مـــن خجـــلي؟

نـــامي عـــلى شـــفتي فـــي هـــدأة القـــبل
ولا تضـــيئي بوجهـــي بـــارقَ الغـــزلِ
نـــامي فعـــندي ربيـــعٌ مـــن معاتـــبةٍ
خـــلي لكفَّيـــهِ غصـــناً غيـــرَ مشـــتعلِ

أفديـــكِ مـــزروعةً فـــي الـــبالِ غامضـــةً
شـــيئاً مـــن الطّيـــن والأنهـــار والشَّـــمسِ
أفديـــكِ... يـــا حـــبَّذا ريـــحٌ مؤجَّجَـــةٌ
تنضُـــو عـــن الجســـم تاريخـــاً مـــن اليأسِ
أفديـــكِ أيقونـــةً مـــا زلـــتُ أنقشـــها

وبـــي حـــنينُ الشَّـــتيتِ الـــرّوحِ لـــلعرسِ
أقســـمتُ لـــو أنَّ لـــي حقـــلاً أؤسّســـهُ
لكـــان ثديُـــكِ مرســـوماً عـــلى فأســـي
لكنّـــني -وغُـــبارُ الوهـــم يســـبقني-
أحـــتاج للفســـحةِ الخضـــراء فـــي نفسي...

1984/2/17

■■

سـقوط

ما زلتُ أصعدُ.
في الحجارةِ كوةٌ ينداحُ منها الضوءُ.
يا ربَّ الحجارةِ، اكترثْ ليدين تبتهلان بالعرق الشديدِ.
تماسكتْ كتلٌ أمامي
شدّتني صوت وأرختني عيونٌ.
غارُ من نَزَلَتْ إليه السّاحراتْ؟

ما زلتُ أصعدُ.
في الحجارةِ غيمةٌ خضراء.
يا مطرَ الحجارة، اقتربْ ليدين تغتسلان بالحجر الغشيمِ.
تجمّعت جهةٌ أمامي
شدّتني برق وأرختني صلاةٌ.
رَبُّ من نزلت إليه النّائحاتْ؟

ما زلتُ أصعد.
في الحجارة جمرةٌ يقتاتُ منها العشبُ.
يا نارَ الحجارة انشليني من مخاضِ الرمل.
جرّت قامتي شهبٌ وأرختني دماء.
سيفُ من فقأ العيونَ الطّائراتْ؟

ما زلتُ أصعد.
حنّ لي جَبَلٌ وأعطاني مفاتيحَ السّطوح السّاقطاتْ

1988/6/20

■■

لِـــمَـــنْ

سأكتبُ شعراً لمن
سأوقدُ ذاكرتي والمساءْ؟
سأحفرُ قبري لمن
سأسقطُ في رُدهاتِ النّداءْ؟

أنتِ أبعدُ من جبلٍ لا أراه
وأبعدُ من ثَغَراتِ الهواءْ
أنتِ أبعد من قاطراتٍ تُحيلُ انتظارَ الغريبِ
نبيذاً وأرغفةً واحتمالَ لقاءْ
أنتِ أبعد من شهَقات الرّبيع
تَمدّدَ في عُرْي (حمصَ) لِيَنْسَكِبَ الياسمينُ
على عشب ثدييكِ
غنّيتِ... أذكرُ طَعْمَ الغناءْ

أذكرُ الأمسياتِ اللّواتي عَبَقْنَ بتاريخنا
إذْ مشينا، بكينا وقلنا لعائلة القُبُلات: لدينا
لنرضعَ ثدي المدينة، نحبو فنكسرُ كفَّ المدينةِ
نكبرُ... أرحلُ ثانيةً عنكِ
تسحبُكِ الحَشراتُ إلى وكرِها
تلدين جُموعاً، أراها تدحرج تاريخَنا في ممرّ الجَفاءْ

سأكتبُ شعراً لمن؟
وجُرْحي قعيدٌ
وشِعري عكاكيزُ تسنُدُ فِيَّ البكاءْ

1992/3/10

■■

دعـــوة

مـــن أيّ زاويـــةٍ ألـــمُّ رحيـــقَ وقـــتي؟
مـــلحٌ عـــلى الـــتّابوت، ســـقفُ الملح بيتي

مـــــتأبّطاً وجـــــعَ الخلايـــــا، مُفْـــــرداً
لا تَلبســـيني. خيـــطُ عطـــري ثوبُ مَوْتي

الـــــلّحمُ قـــــال: أصـــــابعي مقطوعـــــةٌ
فربطـــتُها بعـــدَ الـــبكاء بـــنار كبـــتي

الـــــلّحمُ قـــــال: جداولـــــي مســـــفوحةٌ
فـــأقمتُ ســـدّاً مـــن دمـــائي حيـــن غـــبتِ

الـــــلّحمُ قـــــال: كواكـــــبي مشـــــروخةٌ
مـــن أنـــتِ حـــتّى أشـــتهيك إذا أتيـــتِ؟

هـــي ذي غيومـــي فارفعيهـــا حالـــةً
صـــوفيّةَ الأمطـــارِ تحـــبُو فـــوق بيـــتي

هـــي ذي حـــروفي فاقـــرئيها نحـــلةً
وجعـــي لهـــا زهـــرٌ، إذا ثمـــري أكـــلْتِ.

1986/10/15

(السّلام لها)

بُوركَ الألمُ المتقدمُ نحوك من كلّ صوبِ
جهةٌ، جهتان، ثلاثُ جهاتٍ وقلبي
بوركتْ لحظةٌ نتمازجُ فيها غيوما
تخبّئ أمطارها تحت برقِ الأصابعِ
إذ تلتقي، تتحاور بالرّعشاتِ
وتصلبُنا في نهاياتِ دربِ
امْشِ يا قَلْبُ نحوَ يديها
توكّأْ على شجرٍ يابسٍ في الضّلوعِ
لتخْضرّ قربَ جداولها
واكترثْ بعدها لهطولِ النّوافذِ من جرحها
لا أريد الصّعودَ إلى جبلٍ
كي أراها على شجرِ الغيمِ وارقةً كاملَهْ

لا أريدُ التطلعَ من صوتها المتجمّع في قعرِ أسطورةٍ
لا ولا رفرفات الرؤى الموغلَهْ
هي في كفّها حين تمسحُ وجهي
وفي دمعِها حين يطلقُ دمعي
وفي كَوْنِها حين يسرقُ وقتي
السّلام على زرعها في جهاتي
السّلام على مائها في عروقي
على ضوئها في مدادي
على فجرها في سوادي
السّلامُ لها.

1986/4/2

■■

(هنا/ هناك)

أصدقائي، رأيتُ القطاراتِ تهربُ بالسّحُبِ
ورأيتُ أصابعكم في القطارات تومئُ لي
باهتٌ في صحارى الثّلوج ربيعٌ
سأرسمُه في دفاترنا قربَ عائلة الشّوقِ
هل تذكرون النّبيذ المغطّى بأشرعة الهَرَبِ
سوفَ نُبحرُ –قال طويلُ المدينة–
نركضُ في طرقات مدينتكَ، الشّعر مئذنةٌ في دمانا
وخمرَتُنا قُبَلُ الوالغات بأشيائنا
بدويُّ الصّفاتِ بكى مجدَ سيّدةِ الكتُبِ
ولمن سوف نبكي؟
لثديين يرتعشان بلمستنا، يدْرُجَانَ على سعْفة الوقتِ
نحو الغدير، الّذي لمَّ أشتاتنا في المدينةِ ذات مساءٍ

لمن سوف نبكي؟
لسوسنةٍ من وفاء الغديرِ سقَتْنا الحضارةَ نهراً فنهراً
رمتنا إلى الانتظار فُرادى
وجَمْعاً بنا ولَدَتْ في هواءٍ شديدِ
سأمسكُ قلبي، سأمسكُ ثوب الكلامِ
وأفتحُ نافذةَ الشُهُبِ

أصدقائي يداي ومطرقتي
أصدقائي عيوني وباصرتي
أرجِعُوني إلى سدرة الكفنِ
لوِّحوا بالمناديل في زحمة الذّكرياتِ
أعودُ إليكم علاءَ إلهٍ وظلَّ نبي.

1993/5/27

(بكاء)

أريدُ البكاءَ وقد أستطيعُ
وهذي البلادُ تريدُ رحيلي
أريد البكاءَ وقد أستطيعُ
ونافذةٌ في زوايا دمشق تضيءُ
ونبضٌ على (بابِ تدمرَ) يقعي
أريد البكاءَ وفي مقلتيَّ غديرٌ
ونهرانِ بالوردِ يشتعلان على جمر صوتٍ
يقول وداعاً
أقلتُ وداعاً؟ تمنّيت لو قلتُ حتّى
تراني البلادُ الّتي لا تراكِ
تمنّيتُ حتّى أسيرَ إلى لغةٍ لا تراني،
وخَلْقٍ مُصابينَ بالغثيان لمرأى دموعي

تقول المدينةُ إذْ أحتمي بالقناطر منكِ
رأيتُكَ في سهرات الصبايا تفك إزارَ النشيجِ
تُقبّل ناهدتين وتحملُ نافذةً للحبيبةِ
تركضُ في الرُّدُهاتِ
تخاف سقوطَ الصبايا على عوسجِ الذّكرياتِ

أخافُ أخافُ سقوطَ النَّدى من جراح الغديرِ
أخافُ رُجوع الصَّدى من فضاء الغديرِ
أخافُ إذا قلتُ هذي دموعي ستغسلُ هذا المكانَ
وفي مقلتيّ غديرٌ بعيدٌ
ينام إلى آخر العمرِ والغربةِ الموحلَةْ.

1993/1/2

■■

الأشعار تحتفل بعيد ميلادها

هذا الشّعرُ الواسعُ قبرٌ
أذكرُ فيه دفنتُ أناشيدي
والماءَ المتدفقَ من خطوكَ
والزهرَ المتساقطَ من عينيكَ
سألتُ الأوراقَ الحجريّةَ عَنْ ثقبٍ
أتَسلل منهُ إلى الشمس
اتّسعتْ دائرةُ الطين وكانَ الفحمُ السّيّد في حضرة
أحجاري
يا سيّدُ يا أسودُ يا جلبابي
كيف سأحتفلُ اللّيلةَ بالميلاد العشرين لكوكبها
كيف أجرُّ الشّمسَ إلى أذنيها
والسّاحات ودبكاتِ الأعراس ونزفَ النّسوةِ

فاسكنيني أرزةً تطلعُ من كلّ صليبٍ
ويداً تولمُ للنّيران فحمي الشّجريْ
واسكنيني قُبلةً تسقط في قلبي غديراً
يغسل الميلادَ في سهل المساء الحجريْ
واسكنيني نحلةً تلدغني كلّ صباحٍ
حين لا أخرجُ من موسمِ حزني الإبَريّْ .

1984/10/10

■■

هتافات عاجلة لألوانها

وجهُكِ الخُضْرَةُ
هل أرْسمُه قرب كتابات المساءْ؟
أم سأرجو كفّكِ الخضراءَ
أنْ ترسمَ قلبي؟

كانتْ برداءِ اللّون تسيرُ
على العشب الطّالعِ من قدميها
أغلقتُ الباب فهاجمني عطرٌ واسعْ
طوّقني، أجبرني
أن أحفر في ذاكرتي بالسّكّينِ
ملامحَ وجهٍ، أنهكَهُ التّحديقُ إلى الجمرِ
المتساقط من سقف العالمْ

وكنهرٍ يفردُ عينيه على الأشجار
امتدت نحوي تسألني
وكحلمٍ يخرُج من برّيّةِ نورٍ
اتّكأتْ عيناها فوق حروفي
فتكسّرتُ على حجرٍ، أعشبَهُ مطرٌ يرشح من شفتيها.

باسمكِ الأزرق أمشي
نحو ما يجعلُني غَيماً
فهل أتركُ روحي جمرةً تأكل جدران الجسدْ؟

رسمتْ زمناً خلف ضباب أخضرْ
ورمتْ قمراً مكسوراً
ينزف فوق الأرض الرّمليّهْ
سمّيتُ الزّمنَ النّائي الحلمَ السّاكنَ فيها
والقمرَ المكسورَ بقايا الحلم السّاكنِ في أعماقي

هل كانت تدركُ أنّ أصابع روحي
قابضةٌ جمر اللّحظاتْ؟
هل كانت تدركُ أنَّ رغيفي حامضْ
ونبيذي حامضْ؟

هل كانت تدركُ ذلكَ حين اقتربتْ
نحوي ألواناً من برْقٍ قادمْ؟

1985/10/7

■■

ليلة القبض على الأشياء

كلُ ما تدركهُ الباصرةُ الوهمُ
وما تحضنهُ الذاكرةُ الوهمُ
وما تلفظه الأغنيةُ الوهمُ
فكيف اشتعلتْ فيكَ القصائدْ؟
كيف داخلْتَ فضاءَ السّهم في غابتها البكرِ
ومن دمّكَ يا صيّادُ أطلقتُ الطرّائدْ؟

هو لم يحفر على جثّته وجهكِ يا حانية العينينِ
لم يكتب لهاثَ الشّجر المحترق الأعضاء في دفترهِ
لم ينتظرْ مشيتك الماسيّةَ الصّوتِ على فحم بقاياهُ
ولم ينغرسِ السّيفُ الإلهيّ بأعماق خلاياهُ
ولم يرحلْ على أجنحة الشّمع إلى شمسكِ

لم يدخل إلى برّكِ نهراً
يجهش الماء بِمَا تنفرد الرّوحُ به
مِنْ برزخٍ أغلقهُ نَشْجُ الينابيعِ
اتركيه واخلعي خطّافكِ النّاريَّ من عينيه
حتى تتنزَّى قمراً أسودَ في اللّيلِ يداهُ
اتركيه واخلعي عُشْبَكِ
من جثّتهِ بالخنجرِ الوالجِ في كونِ دماهُ
هو لا يدرك شيئاً!
هو يا حانيةَ العينين قنديلٌ
ومن زيتٍ غريبٍ عنكِ أشعلتُ ضياهُ
هو لا يدركُ شيئاً!
هو يا حانيَة العينين إقليمٌ
ومن ريحٍ غريبٍ عنكِ لفّحتُ رؤاهُ
آه يا حانية العينين
من غيركِ مدَّتْ في أقاصيه النَّدى؟
ثمَّ اختفت قهقهةٌ صامتةٌ موجعةٌ خلف اندفاعاتِ الحجارةْ؟
كيف يا نسّاجةَ الأشياءِ أختارُ خيوطي؟
كيف من بعدك تلتمّ فراغاتي
فأرقى بنسيجي دُكنةَ الأيامِ؟

كيف القوّةُ الخضراء تمشي في عروقي؟
دثّريني قبل أن أبقى وحيداً
بشظاياك، بأسراب البراكينِ، بميقات التَّجلّي
بالّذي يجْعَلُ روحي
تطحنُ الجسمَ التّرابيَّ انطلاقاً
حينها أحفرُ قبري بفمي الجائعِ
أو أختارُ عينيك لإشعالِ حريقي
آه يا نسّاجةَ الأشياء، ما جدوى التصاقي
بطُمَأْنينةِ ميعادٍ؟ وجذري
حين كنت الأرض لم يصْنَعْ رحيقي؟

أيّها الرّوحُ الذي أيقظَ صلصالي
من الغفلة يا آجرَّ سقفي
أرتديكَ الآن في طقس الفناءِ
أرتدي ثانيةً بذرتكَ اليابسةَ اللّبِّ
فهل تخصِبُ مائي؟

1984/2/16

قصائد لغيرها

جنازة للقرنفل الميت

(الاحتضار)

قالت الوردةُ لي: نَمْ بين أوراقي فنمتُ
فَرَدَ العطرُ جناحيه على قلبي
وغطّاني بغيم دافئٍ حين ارتعشتُ
من رآني أُدخِلُ النّسغَ تويجاتي
أفكّ النّارَ عن جلدي
وأمشي في هواءِ امرأةٍ همَّتْ على روحي
بأنشوطتها حين احتَرقتُ
كان للوردة أن تفتح عينيها على العشبِ
وللمرأة أن تفْتَح عينيها على النّارِ
ولي أن أترُكَ الأشعار في طاحونةِ الوهم

لهمّي أن ينام الآنَ
للوردة أن تذبلَ
للمرأةِ أن تنتظرَ الأثمارَ من نخل المرارةْ

(الموت)

دخْتُ من تجوالِهِ بين ضلوعي
امتطى حُلكته
عرَّج نحو الشجر النّاريِّ في كونِ حروفي
قلتُ للموت وكفّاه تفضان نزيفي:
مُدَّ أقدامك في ورد الّتي جاءت بأسماء القرنفلْ
للّتي ألقتْ زجاجَ الْجسدِ المكسور في صدري
هبوباً ساخناً يحمل تاريخَ العبوديّةِ
والسّوطَ وأشلاءَ الحضارةْ

2-امرأة/ مدينة

أنتِ مثل المدينة لمْ تُعْشبي حجرا
حول قلبي يسبّحُ أفلاكه بالحنينِ
أنتِ مثل المدينة لمْ ترفعي شجرا

قرب مائي يمدّ الغيومَ إليه جنوني
أنتِ مثل المدينة تأتلقين بدمعي
ودمعكِ فوق سحاباتِ طينِ
أنتِ مثلُ المدينة جالسةٌ فوق كفّي
وعيناك برجٌ تهدّمَ تحت عيوني
أنتِ مثل المدينة أمَّ ترابكِ نهري
فَفَتَحتُ في بؤرة اللّحم زَهْرَ اليقينِ

3–خواتم لأصابع المساء

أصدقائي نسيجُ المساء المدمّى أنا إبرةُ الدم أنكسرُ
المساءُ النّبيذُ الفراشُ وحُمّى تسلّلَ من سقفها قمرُ
سأمصُّ الرّحيق وبي عسلٌ وأمدّ المَساء وبي سفرُ
وأسير طويلاً إلى برعمٍ يتساقطُ من كمِّه المطرُ
سأقولُ له، سأقولُ له حين يرهُقني اللّمسُ والنّظرُ
بئْس هذا الصّعود إلى جبلٍ في نهايات ساقيك يشتجرُ
غُلَّ في خاتمي رعشات صدىً شُقّني بالضياء، دمي حَجَرُ
وانتظرْ خَطوَ غيري على كوكبٍ في انكشافات ثدييك يستترُ
وابتهل أن يراكَ خليٌّ تعرَّجَ من بطنه الثّمرُ

النّبيذُ، الفراشُ، الرّفاق، اختناقي بفوّهةٍ جوُّها إبَرُ
فســـقوطي، رجوعـــي، هجوعي، طوافي على غابةٍ أفقها
حُجَرُ
كركراتُ رمالٍ، صحارى بكاءٍ على جرفِ بطنكِ تنحدرُ

1993/8/27

■■

حمص السّاعة السّادسة مساء

للمطر الرّاشحِ من سقف الغيمِ نشيجٌ
للسيّاراتِ تنفُسُها الأسود
للسّاحات بقايا العرباتِ
المكتظّة بالوحلِ
وثمّة عائلةٌ تنتظرُ الباصَ المتأخّرَ
هل أرّقَكَ الصّمتُ الشّتويُ
وأنْتَ ربيبُ الوحدةِ؟
كلاّ.. لكنّي أتهجّى لغةَ الذّات الأخرى.

* * *

سوقُ النّحاسين فضاءٌ مغلقْ
كان المعدنُ قبل الظُّهر نقيّاً
تتلامح فيه عيونُ الأجداد

وكان شقيّاً
يَطْفُو فوق مياه القلب ويغرقْ
والآن وفي أبهاء اللّيلِ
تلاشتْ رائحةُ الباعةِ
والسّوق على رعشاتِ المعدنِ
ما زال مُعلَّقْ
والزّخرفُ فوق الأوعية الصّفراءِ
يلاصقُ شريان الرّوحِ
ويشربُ حتّى يسكر
يركضُ في سوق الفيصلِ يلعقُ سقف السُّوقِ
ويكسرُ نافذة المطلقْ
سوقُ النّحاسين هواءٌ أزرقْ
لا يحتاجُ إلى روح الشّعرِ ليُخْلَقْ.

***

شارعٌ في بابِ تَدْمُرْ
أسّسَ الحزن بشرياني
وسمّاني انكسارا
كنتُ في داخل أشيائي مسجًّى
وعلى روحي بقايا غيمةٍ سوداءَ

جاءت من ممرّ الشجرِ الغربيِّ نحو الشرقِ
حين التجأتْ نحوي تضاريسُ الحجارةْ
القبابُ السُّودُ، والجدرانُ، أسرابُ الحمام المنزليِّ
الطّيــنُ والنّاسُ، الهواءُ الحامضُ، الملحُ الّذي عشّشَ في العمرِ، وأشلاءُ الحضارةْ
شارعٌ في باب تَدْمُرْ
أيقظَ النّارَ بأعماقي فأطلقتُ صهيلي
يعبرُ الحاراتِ نحو الغرب
فارتدّ مع الرّيح غبارا.

* * *

قربَ سوق الهالِ
أوقفتُ جِمالي
واضحاً كنتُ كشمسٍ في حمادٍ
وقديماً سالَ زيتُ الدَّهر من خاصرتي
سرتُ في خارج صحرائي
ففوجئْتُ بها
تشتري فاكهةَ الماءِ بمالي.
قرب سوق الهالِ
أطلقتُ جِمالي

وأنا أطْعمُها الرَّمل
لميعادِ اشتعالي

***

مقهى الرّوضة دخّانٌ أصفرْ
أبخرةُ الأشياءِ
وأبخرةُ النّهرِ المتعفّنِ بين ضلوع النَّاسِ
سألتُ النّادلَ عن قطٍّ
كنتُ أراه الصَّيفَ الماضي
فارتفعَ المقهى نحو الأعلى
ورأيت القطّ يخرّشُ أعمدةَ الإسمنت ومخلبه يتكسّرْ
أعطيتُ القطّ مخالبَ روحي
فارتجّ المقهى من سخريةِ الأحجارْ

***

الكنائسُ مظلمةٌ
والنّواقيسُ حُبْلى بأنَّاتها
المساجدُ ساهمةٌ
والتّراتيلُ تختصرُ الحزنَ
كانت عيون (الإله) تظلّلُ سطح المدينة
والصَّاعدون إلى السَّطح لم يستبينوا التَّجلّي.

انقسمتُ... تسلّل نصفٌ إلى مذبح فارغٍ
وتسلّقَ نصفٌ سلالَم مئذنةٍ
انقسمتُ ورحت أصلّي
تجمّعتُ، كانت دماء (الإله) تلوّنُ ثوب صلاتي
وكان يهوذا -كعادته- لا يفارقُ ظلّي.

***

مغلَقٌ بالتَّحيَّاتِ
والضّحكاتِ البليدةِ سوقُ المدينةِ
في كلّ ناصية بائعٌ
استحمَّ بشهوته
وأتى يطعم اللّحَم نسرَ أمانيهِ
كانت عصافيرُ روحي على عشب كفّي
تسيّجني بالنّقاءِ
وكانت مخالبُها تَعْقِلُ النّاقةَ الجسديّةَ بالخُبثِ
عند الحوانيتِ ثمّ تعود إليها

***

سوف لا أصعدُ السُّورَ
غطّي مفاتنكِ الحجريّةَ
يا قلعةً دونَ سيّدها

تستريحُ العناكبُ فوق منافذِها
وتَمتدُّ لزوجتها للمقابرِ
يا قلعةً دون حارسها
ارحميني من الموت ثانيةً
في سرير الطّحالبْ
قد يغنّي الغبارُ
على راحتيكِ أساطيرَهُ
والحجارة ترسمُ أمجادَها
قد تضيء السيّوفُ
ويندفع المنجنيقُ
وتتّخذ النّار هيئتَها
وأراكِ على سدرة المجدِ
تحتلبين النّدى من غيومِ الأمانْ
غير أنّ اغترابي يكرّرُ فيَّ اغتراب الزمان.

***

تعبرُ العاصي زجاجاتُ العرقْ
النّدى اللّيليُّ لا يجرؤُ أن يتّخذَ الماءَ سريراً
والبساتينُ عصاراتُ قلقْ
كانت (الكاردينيا) تفتحُ كفَّيْها رُويداً

وعلى ساقيةِ اللّيلِ الشتائيّ نواعيرُ الشّبقْ
النّدامى ثلّةٌ تعتصرُ النّاسَ نهارا
والأحاديثُ خرافٌ تعبرُ العالمَ
من بابَ الأنانيّةِ
أخبرتُ دمي عن عطشي النّاريِّ
فاختارَ مواعيدَ الغَرَقْ
ورماني في فم العاصي رماداً
كان ديكُ الجنّ قربي يشربُ الخمرَ
سألتُ النّهر عنهُ... فاختنقْ

***

بائعُ الحلويّاتِ أفعى تريدُ الْتهامي
كان متّكئاً فوق ساقيةِ السَّمْنِ
يملأ دلواً، ويفرغُ دلواً
وحينَ دخلتُ
رمى حول جسمي شِباكَ السَّلامِ
وأجلسني بين أعمدة السّكّرِ
المتصلّب في راحَتيه
سألتُ الشّوارعَ إذْ شاقَني ملحُها
عنْ دخولي إلى بائعٍ

مزّقَتْهُ المدينةُ بالسَّرطانِ الحضاريِّ...
فالتصقَ النّحلُ فوق يدي
والسّجونُ تدلّتْ أمامي.

1986/10/11

■■

صيـــف

كرةُ النّارِ شرقيةٌ
كرةُ النّارِ غربيّةٌ
كرةُ النّارِ تهبطُ تصعدُ
ظلُّ ارتباكي على صفحةِ الجَمرِ
مركزُ رؤيا
ورؤيا المراكزِ سكّينةُ الانتظارِ المنيرهْ.
هذه الشمسُ تدفعني للجنونِ
أمدّدها تستديرُ
أكوّرها ترتخي
أتصلّبُ فيها تفاجئني بالهطولِ
أعود إلى الماءِ
تتركني للمياه الضّريرهْ.

كيف أخبرُ عصفورةً تحت إبطي تغرّدُ مسرورةً
لا تبالي بشرقٍ وغربٍ
-مظلّتُها تستفيضُ بألوانها-
أنّ سقفَ الفصولِ الجديدةِ: آجرّةٌ مستديرَهْ؟

1987/9/25

■■

قصيدةُ الذَّكَر

اخرُجي أيَّتها النّارُ على قشّي
وطوفي في نباتاتي القديمهْ
وكُلي مملكةً كلسيّةَ الأسوارِ
تمتدّ إلى الغيم ولا تجرؤ أن تدخل شمساً
في شرايينَ عقيمهْ
ولتكن ضحكتُك الأولى
التهامَ الشَّجرِ المورقِ في ظلّ عكاكيز الأنوثهْ

اشتكَتْ، للجرَسِ الشّاكي هبوبَ النّارِ
يا خادمَها، احملْ صحافَ الخبزِ
يا شاعرَها، أوقدْ بقاياك
ويا ظاهرَها كم من حضورٍ تلبس الأنثى؟

ويا باطنَها هذا قميصُ الرّوح
هل تخلعُ عن قشرته زرْدَ التّناقضْ؟

هل أناديكِ لأسبوع من النّارِ
وفي كل التقَاويم احتمالٌ للأنوثَهْ
قد أناديكِ إلى أول يومٍ
وأمدّ الشّهوة الخضراءَ جسراً
تصعد الرّوح إليه
فأرى وجهك يا سيّدةَ العالم نهراً
يمنح الكونَ تلاوينَ الحضارهْ
وأرى تكوينك العشبيَّ يمشي
حاملاً هندسَةَ الخلق لأقواسِ الحجارهْ
قد أناديكِ ولكنَّ الدّمَ الفائرَ لن يرضى
بغير العسَل الطّافحِ من نحل الأنوثهْ
قد أناديكِ إلى سادس يومٍ
شاهدي أنّي اخترقتُ الجدُرَ السُّودَ
وأنّي أتركُ اللّحظة موتي
قدْ أناديكِ، نزوعي خلوةٌ أبلغُ فيها

معبر الحبّ الإلهيّ على نهرك يا أختي(*)
وهَمّي أن أريقَ الحزنَ من قُمقمه المسحورِ
فلتصعدْ سديمَ الأرضِ عيناكِ إلى آخر شيءٍ
ممكن للرّوح أن تذكرهُ..
أختي ولا أجرؤ أن أزرع أشجاركِ في جسمي
وقابيلُ دمٌ يملأ بيَتي...

هل أناديكِ إلى سابع يومٍ
وجبال النّارِ فوقي راكعَهْ
وأهيلُ الجمرَ في حلقي ولا
أصرخ يا فَلْقَةَ روحي الضّائعهْ
الّذي أذكرُهُ أنّ شفاهي
قرأتْ فيك لهاثَ الفاجِعَهْ
الّذي أذكرُه أنَّ عيوني
من حريق اليأس ظلّت دامعهْ
حائرٌ بين تجلّيكِ شموساً
وتجلّيكِ رؤىً مُمتقعَهْ

---

* مـــن مفـــردات حضارة السومريين 3000 ق م إطلاق اسم (أختي) على المرأة الحبيبة والقصيدة هنا تستلهم هذه الحالة.

حائرٌ أحمل جوعي ويدي
تخلع عن عرْيكِ كلَّ الأقنعهْ
حائرٌ أحمل أسفارَ الألوهيّةِ
والرّوحُ إليها جائعَهْ
بيننا ما بيننا فرقةُ همٍّ
واندفاعاتُ حنينٍ جامعهْ
فتعالي من كوى الأشياء وجهاً
لاستطالاتِ الفصولِ الضّائعهْ
وتعالي كي نرى ما لا يرى
نحن معاً عين الفضاء السابعه!

1986/4/7

■■

لـهـا/ لـــه

(1)

قمرٌ على الأوراق، ثديكِ نجمةٌ
وجعي تكلّسَ حول خارطةِ الضّياءِ
سبقتْ قاطرةَ التّشتّتِ
تلّةٌ أخرى وأصعدُ جسمكِ العالي
إلى جبلِ التّوحّدِ
من يدي ريحي تدفُّ على هضابكِ
أُقْدمي لمحيط كفّي كي أشمّكِ
زلزلي أحجارَ خوفكِ كي أضمّكِ
سوسنُ المطر القديم أجزُّهُ
خيطُ الأناشيد الطّليق ألفّهُ
وأقول أبذُر أرضكِ العذراءَ

مختصراً تفاعيل القصيدة
هذه لغة مخادعةٌ تمدّ لسانَها
لسفوح صدرك، يلعق الثّديَ الصّغيرَ
تشبّ حلمتهُ فيمسكها لساني
هذه لغة مجنّدةٌ إذاً
هل في يديكِ مظلّةٌ تحمي دمائي من هطولاتِ الزّبدْ؟
شفةٌ على شَفة، أعضُّ حواجز الغاباتِ
ألْقى كتلة وحشيّةَ القسماتِ
تكسوها النّيازكُ، عضّةٌ أخرى
وها شهقاتُ ملتحف بلحمكِ،
إذْ تطاول كي يراك فلا يَراك
تطاولت فيه القصيدةُ والخديعةُ...
لا أحدْ.

(2)

اشتهاني
كنتُ في عرس الصبايا
نبعةً تسقي الأغاني
رشّني بالمطر السّاخن والنّعناعِ

قاومتُ فأعياني حناني
ادخليهِ يا أغانيَّ املئيه باندفاعِ الماءِ
عيناهُ وريقاتُ لهيبٍ فوق وجهي
ويداه غابتا جمرٍ تحوطان حدودي
اقرئي قالَ-قرأتُ
لفّني الشّعرُ بهالات التّحدّي فاقتربتُ
خطوةً، من مطلعِ الجوعِ إلى القمح الّذي ينبتُ في واديهِ
جرّتني دمائي فأكلتُ
أيها الينبوعُ فجّرْ ثديكَ الطّافحَ في كفّ حبيبي
أيّها المزمارُ ارفع غابةَ الحلم على كفّ حبيبي/
أُخرجي صاح-خرجتُ
واحتواني
بين فكّيه فلم أجرؤْ على مدّ لساني.

1986/4/15

الورقة الأخيرة في شجرتها

لا تتركيني أو أحبيّني قليلاً
في المساء أموتُ من دون انتظاركِ
في الصباح أموتُ حين أراكِ تنصرفينَ عنّي
أين تنصرفين من دوني؟
فسيحٌ جسمكِ الكرزيُّ، أسكنهُ، أمدّ أصابعي عبثاً
سأقطف آخر الكرزات لو سمحتْ طيوركِ
أخرجيني من رصيف الذّكرياتِ، ومن مرور القاطرات على بكائي
ارحميني كنتُ أوّلَ من رأى اللّذاتِ تنضجُ في إنائكِ
كنتُ أوّلَ من بكى لبكاءِ نرجسة الولادةِ
كنتِ أوّلَ من رماها للشّتاتِ
وكنتِ أوّلَ من رآني دونَ أجوبة القناعِ.

سأموت من ولعي بسرٍ كان يزهر في عروقكِ، كلما ذبلت عروقي
كان يقفز، يعتلي كرسيَّنا الرّوحيَّ،
كان سيقرأُ الآفاقَ عنّا
كـــان لو لمْ تتركيه يموتُ، بحراً صالحاً للجمر والصَّدف المشاعِ
لا تتركيني أو أحبيّني قليلاً
لا أريد سقايةَ الزّرع اليباس وإنَّما
أشْتاقُ أن آتيكِ قدسيّاً رؤوفاً
أخرِجُ الإبرَ القديمةَ من نسيجكِ
واكتهالَ الرّوح من جسد بهيٍّ
آدَهُ حملي، وتابوت التّحوّل في حصاةٍ
قد يجيء السّيلُ يجرفها إلى الجُزر البعيدةِ
قد يجيء الطّير يحملها إلى وقتٍ بخيلٍ
أُخصِبُ الأشجارَ منك
تُسيّجين فضاءنا نخلاً وأطفالاً
نموت على السيّاجِ
وقد نسير على تويجات الزُّجاجِ
أكلّما انكسرت حصاةٌ في يديكِ سأحتمي منها بأشعاري؟

أحبّيني قليلا
ولو استطعتِ تعلّقي قبراً على حبل انقطاعي
أين تنصرفين من دوني وقلبي مظلمٌ؟
هَلْ تبصرين كواكباً أخرى؟
سرابٌ كلّ ماتحوي البحَارُ
وكلّ ماتروي الحكايا عن مقاعدَ للتّحضُّر في المسارحِ
عن فضاءٍ آخرٍ للرّقص، والقُبلات في شمس الشّوارعِ
أين تنصرفين من دوني
وقلبي قَبْلَ خطوك يجمعُ الأحجار والدّيدانَ
يقرأ ماتيسَّرَ مَنْ تلاوات الصّعودِ
يُريكِ أجنحةَ الغبارِ الهاجعاتِ على الحضارةِ
التّذمّرَ في المراعي والتّشرّدَ في القلاعِ
وفي مساءاتِ الخطايا
والدّعاءاتِ الطّويلةَ للجليل المختفي في قبّة اللّحمِ
اعتـليتُ مقـاعد القبُلات، أبصرْتُ النّساءَ على رصيف الجنسِ
تنتظرُ الكواكبَ، والكواكب في المدينة تحمل الأحجارَ
للأفق البعيدِ
بَنَيْتُ أيامي من الحَجَر السَّعيدِ

مشـــيت من وقتٍ إلى وقتٍ وسَمْتي ناهدان بلا صليبٍ أو قماطِ
صرتُ في ساقيكِ طيراً
كلَّ يوم أشربُ الأمطارُ من ثقبٍ جديدِ
لم نرَ الأحجار حين رقادنا
كانت على وَهج احتكاك دمائنا تبني توابيتَ الوداعِ
أمّي تراني الآن قدّيساً مُحاطاً بالخطايا:
يابُنيّ تعال في شجرٍ غريبِ
في مساءٍ أصفرٍ، في ثوب سارقة الدُمى
إن شئتَ أرْسلْها على كفّ السَّلامةِ
كي نرى الأحفادَ تركضُ في بياض الوقتِ
أمّي مثل قدّيسٍ تراني في المنامِ
وأمّها تبكي لأسئلتي معي وتقول لاتنحرْ نياقكَ للضَّحايا
أمّها مثل الهواء يهبُّ في جهة السَّفينةِ
حُزنُ أمّي يترك الشَّطآنَ تهربُ من مساماتي
لأبصر وجهكِ الكونيَّ في شكل الشِّراعِ
سَأسيرُ من مَقهى إلى مقهى
هنا وجهٌ يسافرُ في قطاراتِ الكهولِ
يقود أغنيةً ويجهش بالبكاءِ

هناكَ شحّاذٌ يضمُّ كلابَهُ
وهناك في التَّابوت ظلٌّ
من يموت اليومَ؟ أسألُ نهدَها
فتشيرُ عاهرةٌ إليَّ.
ستموتُ من فرطِ الحنينِ إلى شفاهي
حيــن أمسك قلبَكَ الظَّمآن، أعصرهُ كليمونِ الحرائقِ في
الثلوجِ
أعودُ للّغة القديمةِ: كم؟
أعودُ لساحراتِ البحرِ والصَّوت السِّرابِ
أعود للّغة الجديدة:
من تراه يهزُّ في رأسي شُجيرات الصُّداعِ
لاتتركيني في ليالي الثّلج مصلوباً على الطّرقاتِ
أخشى أن أراكِ وأنت تنصرفين عني
لاتقولي عُدْ إلى عذراءَ تنتظرُ الذّكورةَ والتّناسلَ
لاتقولي عُدْ إلى صلوات أهلكَ في الصَّباح وفي المساءِ
إلى تآلفكَ الحميم مع الظَّهيرة والنّعاسِ
إلى أماسي النَّهر والأشعارِ والحزن المشاعِ
بدون قيدكِ لن أسيرُ إلى هواءٍ آخرٍ فيهُ العناكبُ والقبائلُ
تأكل القتلى

بدون حضورِ جوعكِ لن أذوق طعامَ موتى
لم تعد جدوى، احملي سفنَ الوداع إلى سريري
أيقظيني قبلَ موعد رحلتي أو قبل أن يأتي إليّ الموتُ
زائرُكِ الجديدُ صباحَ موتي يحمل الأزهارَ
أخشى أن يراني في ثيابكِ
لو يراني، شحّ في عينيكِ قنديلُ النَّدامةِ
بعدما تبكين أعوام الصّبا،
سألمُّ رائحتي وآلامي وأرحلُ.
لو تريدين انتظاري
ما كرهْتُكِ، ماعشقتُكِ، ماانتظرتُ، ومارحلتُ

سأضيء ذاكرتي بألوان الخريفِ
على المقاعد كان قطٌّ قربَ سيّدهِ ينامُ
وكان قطٌّ آخرٌ في البيت يملؤنا حبوراً
تركضين إليَّ، في عينيكِ آلافُ الطّيور وتصرخينَ:
أحبُّه في (باب تدمر) لابساً تكوينهُ الشَّرقيَّ
متكئاً على سطحِ البناية والقصيدة والنَّزيفِ
أحبّهُ، في الياسمين مساحةٌ لمدينتي
سأصيرُ سيّدةَ العوالم، حين أنمو،

في شموس القمح والأعراس والطلقاتِ
أخجلُ من هدوئي
ألعن السّكّيَر قرب النّهرِ
أضحكُ للعجوز، وأنحني ليمر برقٌ
لو تريدين افتراعي
لاستراحَ الضّوءُ في جسدِ الخريفِ
وطائرُ الصّرخات أغفى في أراجيح الشُّعاعِ
قد نلتقي، قد يلتقي القلبان في نعش الرّسائلِ
قد نسير إلى الينابيع القديمةِ
هاهنا طفلٌ بحجم القلب يأكل خبزَنا
وهناك طفل آخرٌ يبكي على يتم قريب
أرجعيه إلى السّفينة، خبّئيه،
وأخبريه عن الرّياح السّودِ والمطرِ المسمَّمِ،
واركضي نحوي، أضمُّ كآبةَ الأشياء في قلبي
وأبني قلعةً لأمومةٍ أُخرى
سنبكي بعد رحلته، سنندم موغلين إلى صقيع العمرِ
ماذا تفعلين على الرّصيفِ؟
تسارعتْ روحي إلى سَمْتِ النّزيفِ
تساقطتْ أحلامنا، لم تكتهلْ أشجارُنا

آهٍ من الحزن القديم، وألفُ آهٍ من حماقات السّريرِ
قد نلتقي، قد يلتقي القَلبان في درب المقابرِ
نعشُنا ريحٌ وبرقٌ وانتظارٌ للخطى
يأتون؟ قد يأتون قبل الفجرِ
هل يبكون؟ قدْ نبكي معا
ونصيرُ عائلةً من الأموات في قبرٍ قديم
يقرأ الزّوّارُ أشعاري وتسمعُ ناعقاتُ اللّيل نَدْبَكِ
والطّفولة تحفرُ الأنفاقَ في الماضي الرَّجيمِ.
كأسُ النبيذِ وشمعتانِ
أدقُّ بابَ الدارِ تنكسرُ المرايا
تفْتحُ الجدرانُ كفيَّها تواسيْني
لماذا جئتِ بالزبدِ الغريبِ
أدورُ في قفصِ الأنينِ
أمدُّ قلبي مثلَ عصفورٍ إليك. حَلمْتُ
قولي كانَ حلْماً مارأيتُ
بكيْتُ.. لم ألقَ الطريقَ إلى الجنونِ.
أحبُّ تفسيرَ الحجارةِ بالدموعِ
أحبُّ تلوينَ النوافذِ بالغيومِ

أحبُّ، ما أحببتُ: ثلجٌ في الطريقِ
وكلُّ ما أحْبَبتَ: نارٌ في العروقِ
هَوَتْ بنا خَيْلٌ رأينا الخيلَ في طرفٍ بعيدٍ
ماركضتُ إلى الصهيل ومانهضتُ على يديكِ إلى ربيعٍ
لو رأيتُ يديكِ مثل الآنِ في طينِ الحماقةِ
رشفتانِ من النبيذِ، وشمعتانِ على السريرِ
وهَمْسُ شيطانٍ: تعالي
اخـــلعي أشياءهُ. جسدٌ تتوّجَ بالجرارِ، وكفُّهُ ملأى بأقداحِ المسرَّةِ
ارحميني لاتقودي الخيلَ للفجِّ المعلَّق في السرابِ
ولا تحبيني..
هواكِ فقاعةٌ تعلو وتهبطُ في مساراتِ الخرابِ.

سأضيء شمعاً في ليالي الانتظارِ
سأضيءُ أغنيتي بآلامي وأجلسُ تحْتَ أضوائي على جَدَلٍ قديمٍ:
هل أريدُ الحُبَّ كيْ أقتاتَ من فخذيكِ ميراثَ الفتوةِ؟
أم أريدُ الحبَّ كيلا أستغيثَ بُحبِّ أمي؟
هل أريدُ الحُبَّ كي أحتاجَ حباً آخراً

وأطير في نعْش القصيدةِ حاملاً زَهْرَ التساؤلِ:
هل تريدين انتظاري؟
أجَّ لوْزُ القلبِ
أغسلُ بالبكاءِ لكِ الأصابعَ
كي تعضّي شهْقةَ اللوزِ المسافرِ
ها هنا قمرٌ يضيءُ محارقَ الأشياءِ في ذاتي
وها خلْفَ المراعي ظَبْيةُ الرعشاتِ تحْملُ جثّتي
ها أنتِ راكضةٌ سحائبَ منْ أمانْ
وأنا على (العاصيِّ) أربطُ عَظْمَ أسئلتي بأقماطِ المواجعْ
ها أنتِ في حمصَ الحزينةِ مهرجانْ
وأنا أمامكِ
بعضُ متّجهٍ إليكِ وبعضُ ضائعْ

1994/2/20

■■

قصائد حبّ

(1)

الغيمُ أسودُ
النّوافذُ دامعاتٌ
الدّروبُ فضاءُ أغنيةٍ تبعثرُها الطُّفولةُ في احتفالات المدينةِ
ياحبيبي صوتك الميلاد أخضرُ
ياحبيبي صوتك المقتول أخضرُ
ياحبيبي صوتك العالي تشظّى في قبابي
حيث أثلجني صَقيعٌ
والجنازةُ آنَسَتْ ناراً ستعجنُها النّساء مع الفطيرِ
هي قوّةُ الأشجارِ تنبضُ في عروقكَ
فارْوِ منها وردةً في الرّوح سائرَةً إلى سَمْتِ النّشورِ
وغداً إذا صليْتَ من أجلي

وسرتَ على نشيج الزَّيْتِ من أجلي
وأعلنتَ البشارةَ، سوف أبكي
سوف أبكي ياحبيبي
في احتفالِ الثّلج بالنّار البهيَّةِ
والأصابعِ بالفؤوسِ
وشجرةِ الميلادِ بالقمرِ الضريرِ.

(2)

إنْ شعَّ نجمٌ سوف أتبَعُهُ
وإنْ دمُهُ أضاءَ اللّيلَ من حولي
سأمشي نحو اسمكَ ياحبيبي
باسْم اسمكَ ياحَبيبي تورقُ الأغصانُ
تصعد من سَديم الطّين كوكبةُ الشّموسِ
إلى الينابيع القصيّةِ
ألفُ مرآةٍ تؤمُّ كواكبي السّوداءَ
ألفُ مدينةٍ تمشي إلى الضّوءِ الغريبِ
جهرتُ باسمكَ ياحبيبي
حمّلتْ جسدي الحمائمُ
سرت في فلك الأريجِ

تمنّعتْ جهةٌ أمامي فاجترحتُ نبوءتي
من أمرِ اسمكَ ياحبيبي يقرأُ الحجرُ الغشيمُ أصابعي
من أمرِ اسمكَ يقمعُ الطّينُ الكريمُ عناصري
ويحدُّ بي نهراً مطيعاً
باسمِ اسمكَ ياحبيبي
أَعبُرُ النهرَ المقدّسَ
يفرح الأطفالُ بالورق الملوَّن والعرائسِ
والنّبيذُ يغُبُّ من رؤيا الصّليبِ:

إنْ شعَّ نجمٌ سوف أتبعُه
وإنْ دمُهُ أضاء اللّيلَ من حولي
سأمشي نحوَ اسمكَ ياحبيبي.

(3)

لمنِ الجرارُ؟
لمنْ بساتينُ المرايا في الأكفِّ؟
لمنْ مناديلُ البروقِ
لغيمةِ الضّوءِ العظيمِ
ليقظةِ الأشواق في جدب العروقِ

لأيِّلٍ أظلافُهُ نورٌ
وعيناهُ ثمار الجمر في شجر الحريقِ
هُوَذا حبيبي عابرٌ أو ماكثٌ
خمرٌ يؤجّجُ كوكبَ الإشراق في وجعي العميقِ
هل تمّ قوسُكَ ياحبيبي؟
هل كسرتَ مساكب الحنّاء في كفَّيكَ؟
هل أطلقتَ نحلَكَ يجمَعُ الألوان إكليلاً لمُلْكِكَ؟
هل أضأتَ شموعَ عرسِكَ ياحبيبي؟
(أطفأتْ كلُّ المنازل جمَرها
والعطرُ والخمرُ المسَمَّمُ ذروةُ العيدِ
انتظرتُ صلاةَ طفلٍ ثمّ أمطرتُ المدينةَ بالبروقِ)

(4)

أعبرتَ بي نهراً؟
ورمّمْتُ الضفّافَ بوشوشاتِ البَرْقِ حين كسرتها.
أقرأتَ بي سرّاً؟
وعلّمتُ المواسمَ كيف تفضحُ سرَّها.
أكتبتَ بي شعراً؟
وجاوزتُ الحروفِ إلى تمنُّع كونِها.

أسمعتَني أرأيتَني ألمستَني؟
قبلَ الغناء سمعتُ صوتكَ ياحبيبي
طالعاً من جرحِ سوسنةٍ تفتَّحَ في بكائي
قبلَ الينابيع انْتَهَبْتُكَ ياحبيبي
واتّكأتُ على جرارِ العطر في حجر النّداءِ
أملأتَ بي عيداً؟
وفتَّقتُ البراعمَ في مواويلِ الصَّبايا
وانتظرتُ هبوبَ خمركَ في الكؤوسِ
أعضَضْتَ بي حجراً؟
وأخرجْتُ الحديقةَ من فؤوسي
وانتظرتُ صرير فأسكَ ياحبيبي
حين طارتْ قبَّراتُ العيدِ من قشّ الرُّؤوسِ.

1983/6/10

■■

حديثُ السّيّدة الّتي كانت إلهة

حين اللّيل يسافرُ
في طرقات النّفس المهجورةْ
حين يغافلُ أشباحَ النّومِ
ويجثمُ في جسدي الدّافئ أفعى مقرورةْ
أتسجّى فوق رخام الصّمت البارد وحدي
أتذكّر وجهكَ
والحزنَ النّائمَ فوق وسادة عينيكَ:
تويجاتِ حنينٍ طفلٍ
لم توقظْها الشّمسُ
وأوراقَ رجاءٍ عذبٍ
لم تلثمْها الرّيحُ
وأعشابَ خريفٍ لم يأتِ، ومرآةَ نجومٍ مكسورَهْ

أتذكرُ رائحةَ العشبِ على أشجارِ عذوبتكَ البكرِ
ورائحةَ الْجوعِ الملتفّ على صدركَ
أتذكّر كيفَ تسلّلتُ إليك كعصفورٍ
فاجأني الثّلجُ
وأغرقَني النّهرُ الهابطُ من
قمم الحلْم وراء ضبابِ اللّحظات المقهورةْ
فطفوتُ على زبدٍ فضّيٍّ خلْفَ قوارب دهشتك الزّرقِ
أحاول أن أخرجَ منكَ
ومن هذا الطّوفان المنهكِ
كي أكتب أغنيةً تتحدّث عَن مملكةٍ
لم يوقظها الصّخب وراء تلال الأيام المسحورةْ
هل كانت حمّى الحزن الأولِ
-هذا البابِ المغلَقِ باللّيلك والأجراسِ-
سوى حمّى الرّوحِ النّازفةِ الجوعَ؟
وهل كنتُ أنا إلاّ سيّدةَ الألمِ السّاكنِ في أحداقِ العالم؟
معجزةَ التّكوينِ الأوّل
باعثةَ الخصبِ وواهبةَ الفرحِ الدّافئْ
هل كنتُ أنا إلاّ سوسنةً تتقطّرُ حزناً صوفيّاً ظامئْ
يلتمّ على أغصانِ الرّجل الجرداءْ؟

في اليوم الأول من تكوين القلب الوادع
فاجأني السّيلُ الخارجُ من فوّهة البحرِ الأزرقِ
وارتاح على أوراقِ حنيني البيضاءْ
في اليوم الثّاني من تكوين الجسد الجارح
غافلني الكرز النّاضجُ وتدلّى فوق الأشواكِ
في اليوم السّابعِ من إدراكي
أخرجتُ نواةَ الخلقِ من البذرةِ
صورتُ إلهةَ بابلَ ــ بعلةَ إيلي ــ
وإلهةَ ــ أوروكَ ــ الخالدةَ:
(إنانا ــ عشْتارَ): الخصبَ الطّافح
صرتُ عشيقةَ ربِّ الأربابِ
مُسيّرَةَ الكَوْنِ، ومالكةَ الأسرارِ البكرِ،وخالقةَ الأشياءْ
في اليوم العاشر من حكمي الأزليِّ
لمملكة الرّجل انطفأتْ شمسي
جاء إلهٌ ذَكَرٌ يُدعى ــ إنكي ــ
احتلّ مدينةَ ــ أوروك ــ وغيّرَ ناموسَ الخلقِ
وأشعلَ جمرَ الشّهوةِ في أعضائي
في اليوم الأول من تكوين الأنثى

راودَني الذّكَرُ النّائمُ قربي عن نفسي
بغلالٍ من قمحٍ، وقطيعٍ من غنمٍ ، وفِراءْ
في اليوم السّابع من تكويني
أيقظني الرّجلُ النّائم قربي
ودَعاني كي أعْبُدَه
كي أخرج من سنبلة الأرضِ
وأصبحَ قوقعةً تتكرّر بالإنجابِ
وتسحقها أقدامُ الذّكَر الخارجِ في رحلةِ صيدٍ
خلف حدود الشّهواتِ الحمقاءْ
في اليوم العاشر من تكويني
قيّدني الرَّجلُ المخذولُ على أسوارِ رجولته
حرّرني من معرفةِ العالمِ
سلّمني القيدَ السَّاقطَ منهُ
ودعاني بالعذراءْ
والآنَ وبعدَ سقوطي في أعماق اللّيلِ البشريِّ
وبعد تنامي حُزني في صبّار الخوفِ
أحاول أن أخرج من نومي
خَلْفَ سياج القحطِ
أحاول أن أكسرَ في جسدي

قوقعةَ الزّمن الملتفّ على الجثث السّوداءْ
فأرى نفسي في صحراءِ الألم القاتلِ
قربي أقنعةُ الأنثى:
الخوفُ، الرّعبُ، الصّمتُ، الظّمأُ الأبلهُ
وأمامي نهرٌ مجهولُ المجرى
وقواربُ من كلسٍ حارقْ
وورائي ظلماتُ الصّحراءْ
أتعثّرُ في فوضى جسدي الطّافح بالعسلِ البّريِّ
أقومُ ومزمارُ الحبّ على شفتي
أهربُ من حزني المتكتّل في ساحاتِ الأرضِ
وأركضُ خلف دمي
أدخلُ فيه، تدخلُ خلفي
عَائلةُ الأطفالِ، وطائفةُ الأشجارِ، ومملكةُ الأزهارِ
نسيرُ على الغيمِ القاحلِ
ننزفُ لوناً ورديّاً فوق قوانين البشر الصّفراءْ
فأنا تلك الزّهرةُ في آنية الجمر
وتلك النّخلةُ فوق جذوع الشّوكِ
وتلك اللّؤلؤة المشرقُ فيها ضوءُ الزّمنِ القادمْ

.1983/1/14 ■■

تشكيلات

في فضاء امرأة غامض ...

(1)

أنْ ألثمَ عينيكِ المسبلتينْ
أنْ أهوي من نافذتي
نحوكِ معصوبَ العينينْ
وأرفْرِفَ كالرّوحِ على أشجاركِ
أن أهبطَ في شطآنك
فوق الرّملِ الأخضرِ
أن أمشي فوقَ جمارِكِ حافي القدمينْ
هذا يحدثُ لو كنتِ معي
لو كنتِ أمامي جسداً لا وهماً
أبحث عنه منذ الميلادِ الأول للحزنِ بأشيائي.

(2)

أنْ أمسحَ شَعرك بالزَّيتِ المتدفّقِ من كفّي
أنْ أشعلَ هذا الزّيتَ القدسيَّ بأشعاري
لأضيءَ الدَّربَ إليكِ
وأنْ أتغلغلَ في العُشبِ النّامي فوق يديكِ
وأمزجَ طيني بالذَهَبِ المخبوءِ لديكِ
هذا يحدثُ لوكنتِ معي
لو كنتِ أمامي جسداً لا وهماً
أبحث عنه منذ الميلادِ الأول للشّمسِ بأرجائي.

(3)

أن أرسمَ في دائرةِ الشّهوةِ
حول نهودكِ قوسَ فمي
أن يتصاعدَ إيقاعي المتوحِّش فيكِ
أن أقرعَ أجراسَ الرَّغبةِ بين قبابكِ
أن أحفرَ فوقَ جدارك شكل دمي
هذا يحدثُ لو كنتِ معي
لو كنتِ أمامي جسداً لا وهماً
أبحث عنه منذ الميلادِ الأول للجوعِ بأعضائي.

(4)

أنْ نشرب كأساً
وندخّنَ تبغاً
أن نجلس في شرفاتِ الألمِ
نراقبُ مايجري
ونقرّر لا جدْوانا
أن نكتب فوق فضاء العالم سِفْر خطايانا
أن أُقــتَلَ منكِ
وأحيا منك
وأصبحَ منْكِ مداداً للدَّهشة
أكتبُ فيه سُطورَ العشقِ لأميّ
المتسلّقِ أشواكَ الغربةِ
هذا يحدثُ لو كنتِ معي
لو كنتِ أمامي جسداً لا وهماً
أبحث عنه منذ الميلادِ الأولِ للحكمةِ في أشلائي.

(5)

شاهدتُك أمسِ
وشاهدتُ الغيمَ المثقلَ بين هوائكِ

والخصبَ المتفجِّرَ من أثدائك
أدركتُ بأنّكِ سيّدةُ الجسدِ التّائقِ للحرّيّةِ
حينَ أزحتُ ستاركِ
فوجئتُ بساقيكِ على فرس الشّهوةِ
ترهزُ ترهزُ حتّى تبلغ آخرَ أفقٍ
لملمتُ ظلالي عنكِ
وصلّيتُ لروحكِ كَيْ تدركَ معنى الجوعِ المبدعْ

(6)

كلّمتُك أمسِ
وكانتْ كلماتي تتسرَّبُ من جرّةِ روحي
حدّثتُكِ عن آلامي
عن (مَعبدِ أشعاري الغرقى)
عن (نهرِ رَمادي)
عن (إلزا)
عن (آدادَ) الطِّفلِ الواهبِ معجزةَ الإبداعِ لسيّدِهِ
كنتُ أحاولُ أن أشعلَ فيكَ قناديلَ الخصبِ
ففوجئتُ بعينيكِ السّوداوينْ
المغمضتين على حلمِ الزّوجِ القادمِ فوقَ المُهرِ الأبيضْ.

(7)

اليومَ تناميتُ على سور حديقتكِ السّرّيةِ فلاًّ
خبّأتُ عيوني في العشب الأخضرِ
صرتُ أراقبُ مايجري في الدّاخل
في الدّاخل كنتِ وأمّكِ تغتابان الجارةَ
في الدّاخل كنتِ وأمّكِ تشتعلان بضوء الفرح الكاذب
(هذا الخاطبُ من عَائلةٍ محترمةْ
وأبوهُ عجوزٌ سوف يموت بداء السّكّر بعد شهورْ).
أخْرجتُ شفاهي من ورق الفلّ الأبيضْ
ثُمّ صرختُ بهذا العالمْ:
طوبى للجسدِ الرّافضِ أثمارَ الدّهرِ البيتيَّةْ.

(8)

اليومَ تناسختُ على طينِ جدارك قطّاً
خبّأتُ عيوني تحت ستارِ الجوع
وصرْتُ أراقبُ مايجري في الدّاخل
في الدّاخل كنتِ وأمكِ صامتتينِ
وطيرُ الفقر يرفرفُ حول ظلال الغرفة
في الداخلِ كنتِ بأقفاصِ الجهلِ

تنامين وتصحين وتنتظرين الرّجلَ المنقذْ
أخرجتُ شفاهي من خابية الحزنِ
صرختُ بأعلى صوتي:
طوبى للخَارجِ من شرنقةِ الفقرِ إلى شرفاتِ العالمْ.

(9)

في الجامعة المكتّظة بالفوضى
ألقيتُ عليك سلامي
اخترتُ فضَاءك حتّى أطلقَ عصْفوري فيه
واخترتُ هواءك حتّى أتنفّس منه
واخترتُ رمالك حتّى أدفنَ فيها
الجمرَ المتسَرّبَ من شفتي
ازددتُ شعوراً بالدّهشة
حين تطلّعتُ إلى عينيك
الهاربتين من التّحديقِ إلى أشجاري
وازددتُ شعوراً بالغربة
حين رأيتك تقتربينَ بأغصانك
من رجلٍ يملكُ لؤلؤةَ العيشِ الهانئْ.

(10)

في أبْهاءِ المعرفةِ الزَّرقاءِ تصافَحْنا
ثمّ مَشينا بين تماثيلِ الفكرِ الباردِ
كنتُ غريباً عنكِ وعنْ
هذا الطّوفانِ الهائلِ
من خلجانِ ثقافتكِ العذبةِ
كنتُ وحيداً في منعطفِ الحزنِ
أحاول ألاّ أخرجَ منه
حتّى أبْقى بين ضبابِ الشّعرِ
وكنتِ امرأةً تختزنُ العالمَ في شفتيها
والكتبَ الصّعبةَ في شفتيها
والحزنَ الأبيضَ في شفتيها
والقسوةَ والرّقّةَ والحكمةَ في شفتيها
كنتِ امرأةً في شفتيها عنبٌ حامضْ
وأنا أبحَثُ عن شفةٍ
تُدْنيني من شجرِ الحلمِ الغامضْ
كنتِ امرأةً في ثدييها زمنٌ بائدْ
وأنا أبْحَثُ عن ثديٍ

يُدْنيني من ينبوعِ الزَّمنِ الخالدْ

(11)

مازلتُ أسافرُ في صوتكِ
صوتُكِ هذا الجرسُ الفضّيّ المتدلّي
من عنُقِ الزَّمن الأسود
مازلت أسافرُ في وجْهكِ
وجهُكِ هذا النّخلِ المرتعَشُ من المطرِ الكسلانِ
وهذا الطّيرُ البَريُّ المتهادي فوق فضاءِ الخلقِ الأولْ
مازلتُ أسافرُ بحثاً عنكِ
وحتّى ألقاكِ
وأسقطَ فوقَ حرابكِ
حَتّى نتفاعلَ في أمْزجةِ الأرض ونُخْرِجَ شيئاً منّا
سأظلّ وحيداً أصْنَعُ مِنْ قمحي خبزَكِ
أطْعِمُ منهُ القطَّ الجائعَ في سجني
حَتى أتحرّرَ منهُ.

.1983/2/20

■■

أســـماء

كلتسي

مطرٌ كالبكاءِ...
وتلويحةٌ في شوارع (كلتسي)...
بعيـــدٌ هـــواءُ الـــبراكين. أين المكانُ الّذي يحتوي قبّعاتِ الفصولْ؟
كنتُ أوغلُ في مطرٍ كالبكاءِ إليكِ
وكنتُ أعضّ هواءَ المدينةِ
قلتِ:المدينةُ نائمةٌ
كرنفالُ الكواكبِ محترق،
والأهلّةُ خضراءُ تحمل شعباً يهاجرُ من حربهِ
يُلبسُ الأرضَ ثانيةً
تاجَ موتى الحروبِ وموتى القبائلِ

قلتُ: المدينةُ مصدوعةٌ والجليدُ كسانا بلذته
القناطرُ شَكُّ الحجارة بالغدِ
ريشُ اللّقالق ، تاجُ المساء، التّناقضُ بين السَّحابِ
وكلبٌ يلاحق سيّده كي يراه.

رابكا

(رابكا) تنام بغرفتي... امرأةٌ ونهرٌ في البعيدْ
(رابكا) تنامُ، على الزّجاج كواكبُ الحزن البهيّةُ
والمسيحُ على الجدارِ يراقب الزّمن الجديد
بإصبعيه يشيرُ لي:
في الغابةِ امرأةٌ تحبّكَ، لا تريدُ سواكَ أنتَ، ولا تريدْ
غيرَ احتمالكَ في التّفرّد.
تركضُ امرأةٌ بأجراسِ المدينةِ
ثمّ تهتفُ: لا أحبّكَ، لا أحبُّ سوادَ شَعركَ
تسألُ امرأتي: و(رابكا) هل تحبّكَ؟
أشرَبُ الكأسَ الأخيرَ
بإصبعيه يشير لي...
فتمدّ (رابكا) رأسَها نحو المراعي

تخلعُ الأشجارَ والآفاقَ، ألمح وجهها الأزليَّ
أرسم ما أرى
وبإصبعيه يشيرُ لي... ....

مـــارتـــا

بابُ الكنيسةِ مورقٌ
شجرٌ تدافعَ من نوافذها وغطّى فسحةَ الرّوحِ
انتبهْ: ليديْن حولكَ ترسمانِ قواربَ الحُجاجِ للبلدِ المقدَّسِ
وانتبهْ للهاثها حين اشتعلتَ
تساءلتْ (مارتا) وكنتُ وراءها:
أتعيدني نحو البداية
وجه أمّكَ في مساء الغزو
ذاكرة الهواء، هويّة الأشجارِ
رفرفَ طائرٌ.. أرضُ البكاءِ تفتَّحَتْ حول الصّليبِ
وأورقَ الشّكُّ المَقدَّسُ في المكانِ
تساءلتْ (مَارتا) وكنتُ أمامها:
أأعيدُ تكوينَ البدايةِ؟.. فانتظرتُ

1993/7/11.

■■

مـــرايـــا

مرايا كالنّهار تَلُوحُ
سربٌ من حمائمَ يحمل الآتي وتابوتين للماضي
سألتُ الشّمْسَ أنْ تأتي
إلى عيدينِ من فحْمٍ، إلى بلدٍ على تاريخه يقعي
فألْقَتْ في يدِ الأمْداءِ منديلاً
بهِ الأحبابُ والقتلى
مرايا كالنّهارِ أراكَ بالأحزان تغسلها
تضيء الكونَ تحمُلهَا
لنافذتي
أرى الأطفالَ يفترشونَ تاريخاً ويحتملون تاريخاً
وينتصبونَ تاريخاً على سيقانِ أغنيتي:
طويلٌ كالعظام الموْتْ

ثقيلٌ كالهواءِ الصمّتْ
لقالقُنا على سَفرٍ
أصابعُنا على حَجَرٍ
وظلُّ الجوعِ في حُجرٍ
يضيءُ الصوّتْ.
وماذا يجعلُ المدنَ القديمةَ والجديدةَ كالمرايا؟
أسأل الجبلَ البعيدَ وأسألُ الصرّخاتِ
إذ ترتدُّ من أفق السّلاحِ:
لضوء أغنيةٍ يخبّ الأسودُ،
استلمتْ أصابعُنا البكاءَ فجنَ فينا السّيدُ
انطلقَتْ قواربُ في الرّسالةِ فاعتلاها المارِدُ
ــ الأطفالُ ينتصبون قبل الفجر
قنديلاً من الأعشابِ فيه البحرْ ــ

1992/4/11

■■

صـــلاة

واقفٌ

أرسمُ بالدَّمِّ على الجدرانِ صوتي
هل أسمّي وجهها القبلةَ
حتّى أبلغَ اللّيلةَ موتي؟

راكعٌ

تحت عيوني حيّةٌ تمسك ساقي
امْشِ ياسمٌ بأعضائي
فلن تحتملَ الرّوحُ احتراقي

ساجدٌ

فوق التّراب ــ الجمرِ أستجدي الفَنَاءْ
أيّها الباسلُ يا حلمي احتضنّي
واعتصرني مُصَّ من قلبي الدّماءْ

ميّتٌ

أُسْقطُ عن جِسمي تجاعيدَ الحياةْ
هَلْ أُسمّي وجهَهَا أرضاً
ومنْ موتي أنادي العشبَ للأرضِ الموات؟

1990/5/5.

إشـــارات

1 ــ في قصيدة (حمص الساعة السادسة مساء)، وردت الأسماء التالية: (سـوق الفيصـل ــ سوق النحاسين ــ سوق الهال)، وهي أسماء لأسواق في المدينة. (باب تدمر) حي من أحياء المدينة القديمة التي كـان لهـا عدد من الأبواب.(مقهى الروضة)، أشهر مقهى شعبي وقديم في وسط المدينة له تاريخ يعرفه أهل المدينة. ومع أن المقهى فَقَدَ معناه الحقيقي في الحاضر، فما يزال ملتقى لأهل المدينة.

(العاصـي) اسـم نهـر يخترق المدينة جاعلاً من الأماكن التي يلامسها علامـات خضـراء، وـله ماله في الذاكرة الشعبية والشعرية من حضور غامر وآسر.

(الكاردينيا) من المقاصف وأماكن السهر المحيطة بنهر العاصي.

(ديـك الجـن) في الأصل هو لقب الشاعر المعروف ــ عبد السلام بن رغـبان ــ وهو اسم لمقصف جميل مطل على نهر العاصي. الذي ارتبط بديك الجن.

2 ــ فـي قصـيدة (تشكيلات في فضاء امرأة غامض)، وردت الأسماء التالية: (المعبد الغريق ــ إلزا ــ نهر الرّماد ــ آداد)، وهي أسماء كتب شعرية لكل من: (بدر شاكر السياب، أراغون ــ خليل حاوي ــ فايز خضّور)، على التوالي.

3 ــ في قصيدة (أسماء) وردت الكلمات التالية:

(كلتسي) مدينة في ــ بولونيا ــ

(رابكا) قرية في ــ بولونيا ــ

الفهرس

قـــــــباب 5
الليلـــــــة الصّاخبـــــــة 9
النّوم في سرير العشب 12
ضوء لقمر الحجارة 14
ســـــقوط 17
لـــــــمَـــــــنْ 19
دعـــــــــوة 21
(السّلام لها) 23
(هنا/ هناك) 25
(بكاء) 27
الأشعار تحتفل بعيد ميلادها 29
هتافات عاجلة لألوانها 33
ليلة القبض على الأشياء 36
قصائد لغيرها 39
جنازة للقرنفل الميت 39
حمص السّاعة السّادسة مساء 43

صيـــــــف 51
قصيدةُ الذَّكَر 53
لـــهـــا/ لـــــــه 57
الورقة الأخيرة في شجرتها 60
قصائد حبّ 70
حديثُ السّيّدة الّتي كانت إلهة 75
تشكيلات في فضاء امرأة غامض 80
أســـــماء 88
مـــــــرايـــــا 91
صـــــــلاة 93
إشـــــــــــارات 95

■■■